



لوحة رقم (٥) صفية بنت زقر - امرأة جالسة على كرسي

المرحلة الأولى : التحليل الوصفي

تعد الفنانة التشكيلية السعودية صفية بنت زقر واحدة من أبرز وأهم الفنانات السعوديات المعاصرات اللاتي وضعن لأنفسهن عالماً خاصاً بهنّ ، والذي يتميز بالبحث عن عناصر التراث المحلي بتسجيل وتوثيق مظاهره ، حيث يمكن الوصف بأنها من أهم مصوري الحياة اليومية في المملكة العربية السعودية . فحين نتحدث عن الفنانة صفية، فإننا نتذكر تجربة (٣٠) عاماً من العطاء المتميز مع الفن الشعبي أو الفن الواقعي في بلدنا المملكة العربية السعودية . وعندما نتذكر حركة التشكيل السعودي ، نتذكر رائدة من رواد الحركة التشكيلية ، والتي لها دور كبير في وضع اللبنة التأسيس الأولى لمسيرة الحركة التشكيلية السعودية. وسوف نتناول أحد أعمال فنانتنا الرائدة ، والتي تتطرق فيه إلى تجسيد، وإبراز تفاصيل الماضي بتراثه الثقافي والشعبي في المملكة العربية السعودية ، فاللوحة التي أمامنا تمثل موضوع امرأة جالسة على كرسي من الخشب ، حيث يبلغ مقياس اللوحة : (٩١ X ١١٢ سم) على قماش مشدود . وقد رسمتها عام ١٩٦٩ ، بالألوان الزيتية . فعندما تقع عيننا على هذه اللوحة فإن أول ما نراه هو ذلك العنصر

البارز المتمثل في امرأة جالسة بزّي المعروف في منطقة الحجاز ذو اللون الأصفر المخطط باللون البني وارت فوق رأسها الخمار أو (الطرحة) ذو اللون الأبيض ، وقد بدت على وجهها إبحاءات الطيبة والابتسامة كتعبير وتمثيل عن جموع الناس الطيبين ، أو الوسط الذي تعيش فيه الفنانة- آنذاك - وهذه المرأة تجلس على كرسي مصنوع من خامة الخشب وهو ربما مزخرف أو مطعم بالأصداف وقشر الأشجار وهي الحرف المنتشرة في تلك المنطقة . وفي خلفية اللوحة يسود اللون الأزرق ويتخلله أنماط زخرفية على هيئة دوائر هندسية حيث يوجد عن يمينها ثلاث وحدات زخرفية ومن أعلى رأسها وحدتين زخرفيتين . وهي تتشابه في وحداتها الداخلية وفي ألوانها وأشكالها الخارجية .

المرحلة الثانية : التحليل الشكلي

إن التلقائية البسيطة تعد من أبرز الأشياء التي يمكن ملاحظتها في تكوين هذه اللوحة عند الفنانة صفية بنت زقر. بل يمكن القول بأن عنصر التلقائية هو أكثر العناصر ارتباطاً بكيان الفنانة وبتكوينها الوجداني ، والذي يكشف لنا عن طبيعتها البسيطة ، وروحها الوطنية المتأصلة فيها . فهذه اللوحة تعد أساساً بناء متكامل يقوم الاتزان والإيقاع ما بين خطوطه (زي المرأة) ، ومساحاته اللونية (الوحدات الشعبية في الخلفية) . فقد اكتسبت الفنانة هذا التكوين من خلال ممارستها الطويلة للرسم وبحثها المستمر عن الفن . كما يعد الصدق في التعبير من مميزات الفنانة صفية، حيث تعلمت أن الصدق هو الذي قادها إلى التسجيل للتاريخ التراثي و للأشياء ، والموجودات التي تشاهدها أمامها في الحياة اليومية ، وقد ظهر على سطح اللوحة وفرة الملمس اللوني ، حيث يمكن ملاحظة ملمس التصوير في معظم أعمال الفنانة ، حيث يعتبر عنصراً معبراً عن العمق اللوني والحركة معاً . ولذلك جاءت ألوان هذه اللوحة حية ومتألقة ، ولعبت دوراً مهماً ، وبارزاً في اللوحة . فالألوان الرئيسية فيها تجمع ما بين لبرتقالي والأصفر الفاتح إلى البني الغامق بجميع درجاته بالإضافة إلى اللونين الأخضر، والأزرق . ويمكن القول أننا لا نكاد نرى لوحة من لوحات الفنانة صفية تخلو من سيطرة هذه الألوان . ونلمس هذه

الألوان خاصة في المساحات المعبرة عن الوجوه البسيطة ، كما في وجه المرأة الجالسة حيث تكشف لنا طبيعة تلك الألوان مدى تأثر الفنانة الكامل بالبيئة المحلية والتفاعل معها . فهذه الألوان نجدها في كل ما حولنا من سهول وسفوح وتلال ، وبيوت طينية تمتد على ساحل جدة - آنذاك - وهي الألوان التي التجمع بين البرتقالي ، والأصفر، والبني ، وقد وظفتها الفنانة في هذه اللوحة على (يد ووجه وزى الشعبي للمرأة الجالسة على الكرسي) . أما الألوان التي تجمع بين الأخضر والأزرق ، والذي استمدته من خضرة الأرض ، وزرقة السماء في البحر . فقد مثلته في الخلفية التي تقع خلف المرأة . فهذين اللونين يقومان بخلق نوع من الحوار الجريء ، والتفاعل الحيوي أو الديناميكي في اللوحة . بين العناصر الزخرفية المتشابهة البسيطة في تكويناتها ، ويأتي هنا مدى استفادة الفنانة من الطرز الزخرفية التراثية السائدة في مدينة جدة . وهذا ما حاولت الفنانة إبرازه ، وخاصة أن جدة تزخر بالعديد من الوحدات الزخرفية الشعبية و المتمثلة على المباني والمنازل والأعمدة والمشربيات والأزياء ، وبعض الأدوات المنزلية التي تستخدم في الحياة اليومية . حيث ارتبطت هذه الوحدات الزخرفية برابط لوني متجانس فيما بينها وبين المساحات التي تفصلها بينها ، والتي تعطي رابطاً بين مدى الملامح المعبرة على وجه السيدة من الطيبة ، وبين تقارب الوحدات الزخرفية في الخلفية . كتعبير على مدى التقارب الوجداني والعاطفي ، والتلاحم بين الناس في مجتمع مدينة جدة البسيط.

المرحلة الثالثة : تحليل المعنى
أ- التحليل الداخلي أو الضمني

حيث يمكن القول بأن جميع الموضوعات التي صورتها الفنانة . يرجع إلى الظروف ، والمعاشية الزمانية والمكانية ، والاختزالات الذهنية والفكرية لما شاهدها أو سمعته من الأباء والأجداد في ذلك الوقت . ولذلك وجدت الفنانة في تلك الموضوعات السالفة الذكر انعكاساً على نفسها ومشاعرها وأحاسيسها . وهذا يفسر لنا سيطرة موضوع

الحياة اليومية في البيئة السعودية ، وخصوصاً في منطقة الحجاز في لوحاتها ، لتكون بمثابة مرجع تاريخي وتراثي لعادات على وشك الاندثار والنسيان .

ب- التحليل الخارجي أو غير الضمني

يتميز أسلوب الفنانة صفية بنت زقر في التصوير التشكيلي بمعالجتها لموضوعات التي تصف الحياة اليومية في المملكة العربية السعودية . وهذا الأسلوب يتميز بالبساطة والعفوية في تصوير الأشخاص بمختلف المراحل العمرية والأماكن المتعددة والمتنوعة . حيث يطغى في أسلوبها الاتجاه (الواقعي أو التأثيري) فالموضوعات التي تناولتها الفنانة تمثل في مجملها : الحياة اليومية والاجتماعية ، والصحراء ، والطرز المعمارية التي تتميز بها بيئتها ، وخاصة في منطقة الحجاز التي تعيش فيها الفنانة كالتعبير عن المنازل القديمة في جدة . وقد تأثرت في بداية اهتماماتها بعدد من الفنانين المصريين مثل يوسف كامل وراغب عياد اللذان تناولوا الموضوع الشعبي المصري . وهي تضم معهما بالدعوة إلى العودة إلى المحيط البيئي أو الاجتماعي . كما أنها تأثرت بالعديد من الفنانين العالميين من أمثال (بول جوجان) و(بول سيزان) و(فان جوخ) حيث يمكن ملاحظة تأثير ألوان الفنان (بول جوجان) وبسطة تلوينه وحرارتها في أعمالها التي تجسد مظاهر الحياة اليومية في الأسواق ، والحارات ، والأبنية والعادات ، والتقاليد الاجتماعية، ومنها : الزواج والفرح والحنة والحلاقة يوم الزفاف والعروس والمنشد ورقصة السيف ورقصة العرضة النجدية ... إلى غيره من الموضوعات . بالإضافة إلى تسجيل الفنانة للعديد من المناسبات الأخرى مثل : (حراج الجمال والمزارعون في الحقل وصيادو السمك و السوق بالمدينة وبائعو الحلوى والرقص الشعبي ، وكما تناولت بعض الألعاب المنسية التي كان يمارسها الأطفال في المملكة) .